

الحلقة (١٥)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيتين (١٧٢ و ١٧٣) من سورة البقرة.

يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}

هذا تأكيد للأمر الأول في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا } وخُصَّ المؤمنون هنا بالذكر تفضيلاً، والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه، وقيل هو الأكل المعتاد، والصحيح أنه يعم جميع المنافع، وهذا يأتي في القرآن كثيراً مثل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا } فليس المقصود الأكل فقط، وإنما المقصود الانتفاع، وإنما خُصَّ الأكل بالذكر لأنه أقرب منتفع وأشد حاجة، فأشد الحاجات حاجة الأكل فذكر، وإلا ليس خاصاً بالأكل فقط.

وورد الحث على أن يكون زاد المؤمن حلالاً طيباً فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين)، فقال: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثم ذكر صلى الله عليه وسلم: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك).

{وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} أي أثنوا على الله بما هو أهله على النعم التي رزقكم وطيبها لكم، وهو القائل سبحانه: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }، ويقول سبحانه: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } وقوله تعالى في ختام الآية {إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} أي كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيبه لكم، ودعوا ما يزينه الشيطان لكم من تحليل ما حرمه الله جل وعلا، فالحق أن المؤمن يؤمن ويصدق ويسمع ويطيع ويترك ما حرم الله ابتغاء ما عند الله جل وعلا وخوفاً من العقاب فكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، عياداً بالله جل وعلا من ذلك، فسبل الحلال والحمد لله كثيرة وهي الأغلب وهي الأكثر، وما حرم علينا إلا القليل لحكمة ومصلحة والله المستعان.

بعد ذلك يقول الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

فهذه فيها بعض المستثنيات من بعض المحرمات التي حرمت علينا يقول الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ

عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ، فقلوه تعالى (إنما): أداة حصر تتضمن النفي والإثبات، فتثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه، وقد حصرت هاهنا التحريم لبعض الأمور، وجاء أكثر من ذلك في سورة المائدة وفي مواضع أخرى وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى (الميتة) يعرف العلماء الميتة: ما فارقت الروح من غير ذكاة مما يذبح، وما ليس بمأكول فذكاته كموته كالسباع وغيرها، هذا من المعلوم أنه لا يؤكل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي مخلب من الطير، وعن كل ذي ناب من السباع، وهذه الآية العامة دخلها التخصيص في قوله صلى الله عليه وسلم: **(أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد و دمان الكبد والطحال)** أخرجه الدارقطني، وكذلك حديث جابر في العنبر يخص عموم القرآن بصحة سنده وقد رواه البخاري ومسلم لما شارف الصحابة على الهلاك وجدوا حوتاً ضخماً فأكلوا منه وذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى آخر القصة التي تدل على تخصيص هذه الآية.

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في مسألة الجراد حديث عبد الله بن أبي أوفى صحيح مسلم (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كنا نأكل الجراد معه) وظاهر هذا الحديث أكله كيف مات، سواء مات بعلاج أو حتف أنفه أو ضرب لأن الجراد لا يحتاج إلى تذكية، والتذكية تحتاج إلى ما يحتاج أن يذكى فقط.

❖ مسائل مرتبطة في الميتة

← **المسألة الأولى:** اختلف العلماء هل يجوز أن ينتفع بالميتة ؟

قيل يجوز الانتفاع بها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميمونة فقال **(هلا أخذتم إهابها)** الحديث.

قول آخر: أن جملتها محرمة، فلا يجوز الانتفاع بشيء منها على أي وجه من وجوه الانتفاع، وهذا القول هو ظاهر قوله تعالى **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ}** هذا عام، وقد خصص بحديث ميمونة وروايات أخرى، كقوله صلى الله عليه وسلم **(لا تنتفعوا من الميتة بشيء)** ثم جاء بعد ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بالانتفاع بجلد الميتة للحديث السابق **(هلا أخذتم إهابها فدبغتموه)** وعلى أية حال هذه أدلة مبنية فهذا عام وهذا خاص والحمد لله.

← **المسألة الثانية:** إذا فحرت الناقة أو ذبحت البقرة أو الشاة وكان في بطنها جنين ميت، الصحيح أنه جائز أكله من غير تذكية له في نفسه، لأن ذكاة الجنين ذكاة أمه، كما ثبت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن يخرج حياً فيذكى الذكاة الشرعية ويكون له حكم نفسه، أما إذا خرج ميتاً بعد ذكاة أمه فذكاته ذكاة أمه على ما سبق.

← **المسألة الثالثة:** اختلف العلماء في جلد الميتة، هل يطهر بالدباغ؟

قيل أنه يطهر، وقول آخر أنه لا يطهر، والصحيح أنه يطهر لقوله صلى الله عليه وسلم **(أيما إهاب دبغ)**

فقد طهر).

أما شعر الميتة وصوفها فظاهر سواء جز منها في حياتها أو بعد موتها، ولا حرج في استعماله، قال العلماء لأنه كان طاهراً لو أخذ منها حال الحياة، فوجب أن يكون كذلك بعد الموت، إلا أن اللحم لما كان نجساً في حال الحياة كان كذلك بعد الموت، إلا أن يذكي الذكاة الشرعية كما قال العلماء. قوله تعالى: "**والدم**" اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به، فلا يدخل فيه التبرع بالدم بل هو من أفضل الأعمال التي يتقرب بها لإنقاذ أخيه المسلم. فعلى كل حال أن العلماء قالوا أن الدم حرام ونجس لا يؤكل ولا ينتفع به، لكن الذي تعم به البلوى معفو عنه، مثل الدم الذي يكون في اللحم والعروق وما يقع على البدن أو الثوب فلا حرج فيه فالشيء اليسير معفو فيه.

يقول تعالى: { **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا** }، فالمحرم هو الدم المسفوح الذي يخرج بعد الذبح مندفعاً، وهو النجس الذي حرمه الله تعالى، ولأن التحفظ من هذا فيه إصر وفيه مشقة والإصر والمشقة في الدين موضوع؛ وهذا أصل في الشرع أنه كلما حرجت الأمة في أداء العبادة وثقل عليها خفف عنها وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، فحينئذ ما خالط اللحم من دم يسير وبقي في العروق فهذا لا حرج فيه وإنما النجس هو الدم المسفوح.

وقوله تعالى { **وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ** } خص الله تبارك وتعالى ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه، ذكي أم لم يذكي وهو يعم الشحم والغضاريف والكبد وغيره، وقد أجمعت الأمة على تحريم ذلك كله ولا خلاف في تحريم الخنزير، سواء كان في البر أو خنزير البحر على الصحيح في مسألة خنزير البحر أنه محرم، والخلاف فيه خلاف يسير والصحيح أنه محرم كغيره، وقد ذكر اللحم هنا **لأمرين**:

الأول: لأنه أقرب منتفع به، **والثاني**: تأكيداً له بعينه وتخصيصاً له بالذكر في التحريم؛ ومما لا شك فيه أن لحم الخنزير أكله فيه من المضار والأمراض فهو يتغذى على العذرات والأقذار، وقد ذكر الإمام ابن القيم أن أكله يذهب الغيرة من الرجل.

وقوله تعالى: { **وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ** } أي ما ذبح لغير الله أو ذكر عليه غير اسم الله تعالى وهو ذبيحة المجوسي والوثني وغيرهم مما لم يذبح لله تعالى، فالوثني يذبح للوثن والمجوسي للنار، فهؤلاء ذبائحهم لا تحل، سواء قيل عليها بسم الله ولكن نوى به غير الله عز وجل، مثل من يذبح لأصحاب القبور والأضرحة ليتقرب لله عز وجل، ناوياً التقرب لصاحب القبر ليشفي له مريضاً أو نحوه من العبادات التي لا تصرف إلا لله، فإن ذلك شرك وسواء، من صرح بغير اسم الله فلا شك في كونه محرماً، كما ذبح للنار أو للصنم فكل ذلك حرام، لأن الله تعالى يقول: { **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** }، { **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** } وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (**لعن الله من ذبح لغير الله**)

{ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ } " قال العلماء الإهلال رفع الصوت، يقال أهل بكذا أي رفع صوته، ومنه إهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند ولادته، وقد جرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك باستعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم. وقوله تعالى { فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ } أي من اضطر إلى شيء من هذه المحرمات، كمن أكره من ظالم، أو مجوع، فلو أكل وهو مضطر فإن الله يعفو عنه ويتجاوز عنه، قوله { غَيْرَ بَاغٍ } نصب على الحال أي لا باغياً، ولا عادياً، وقيل على الاستثناء، وباغ أصله باغي، ولكن حذفت الياء وجعل التنوين علامة عليها.

وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: { غَيْرَ بَاغٍ } على أقوال:

• القول الأول: قال قتادة والحسن والربيع وابن زيد وعكرمة غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا عاد بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها، يأكل ما يسد رمقه ويسكّن جوعته، لكن يأكل ويتمادى ليسمن نفسه هذا لا يجوز.

• القول الثاني: قال السدي غير باغ في أكلها شهوة وتلذذاً، ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع.

• القول الثالث: قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما غير باغ على المسلمين، ولا عاد عليهم، وهذا مذهب طائفة من العلماء أنه لو كان قاطعاً للطريق ويعتدي على المسلمين فلا يجوز له أن يترخص بأكل هذه المحرمات فيزداد بغياً وعدواناً على الناس، وهذه المسألة سوف نذكرها بالتفصيل. قال القرطبي: وهذا صحيح، أي مرجحاً قولهم، فإن أصل البعض في البغي قصد الفساد يقال بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول: خرج الرجل في بغاء إبل له أي في طلبها.

قوله تعالى: { وَلَا عَادٍ } أصله عائد فهو من المقلوب، قلب مكان، كشاكي السلاح فالأصل شائك، فأباح الله تعالى في حالة الاضطرار أكل جميع المحرمات إذا عجز واضطر غير باغ ولا عاد، فإنه يجوز له أن يأكل منها.

← مسألة: اختلف العلماء إذا اقترن بضرورته معصية، كقطع الطريق وإخافة السبيل هل يأكل من هذه المحرمات، على قولين:

أحدهما: لا يجوز له الأكل من هذه المحرمات وهو قول مالك والشافعي في أحد قوليه لأجل معصيته، لأن الله سبحانه وتعالى أباح ذلك عوناً له، والعاصي لا يحل أن يعان على معصيته، فإذا أراد أن يأكل فليتب إلى الله جل وعلا.

والثاني: أنه يباح له قاله أبو حنيفة والشافعي في القول الآخر، والحقيقة أن لكلا القولين فيه حظ من النظر ولعل الأقرب هو قول من قال بأنه يجوز له بأن يأكل ولعل الله جل وعلا أن يهديه، وما أجمل ما قاله ابن القيم: "ما أحقك يا ابن آدم تعصى الله بنعم الله"

ثم ختم الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي يغفر المعاصي فأولى أن لا يؤاخذ بما رُخِّص فيه بل من رحمته جل وعلا أنه رخص لعباده أن يأكلوا من تلك المحرمات للضرورة.

بعض المفسرين يقول أن هناك شيء محذوف أي من اضطر غير باغ ولا عاد فأكل فإن الله غفور رحيم، وعموما فيها بيان أن من أكل من هذه المحرمات غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم، والحمد لله.